

الملاحظات

نزلت "سورة الرئيس" في حق الحاج محمد إسماعيل الكاشاني، الملقب بـ "الذبيح" و"الأنيس" من قبل حضرة بهاءالله. أنزلت باللغة العربية⁽¹⁾ موجهة لعالي باشا، رئيس وزراء تركيا. خلافاً لأخيه الحاج ميرزا أحمد،⁽²⁾ كان الذبيح مؤمناً مخلصاً ورجلاً تقياً. وصل أدرنة حينما كان بيت حضرة بهاءالله محاطاً بالجنود. لذا لم يتمكن من التشرف بمحضرة المبارك ونصحه حضرته بالتوجه إلى كليبولي. كتب الذبيح خطاباً إلى حضرة بهاءالله فنزلت السورة جواباً له. بعد ذلك - أي بعد نزول "سورة الرئيس" - وبأذن من حضرته تشرف بمحضرة في الحمام العمومي بكليبولي.

فيما يلي موجز لسيرة الذبيح وأنشطته كما دوّنها الشيخ كاظم سمندر في مذكراته:

... كان الحاج محمد إسماعيل الذبيح من كاشان أخاً للمرحوم الحاج ميرزا جاني. أثناء توجهه حضرة الباب إلى طهران... كان قد شرف هذين الأخوين بقبوله استضافتهما لحضرته في منزلهما⁽³⁾... في أوائل أيام الظهور عمل هذان الأخوان

(1) ينبغي تمييزها عن "الوح الرئيس" المنزل بالفارسية في عكاء وموجه أيضاً لعالي باشا.

(2) انظر الصفحة 133.

(3) انظر الصفحة 107.

على نصره أمر الله معاً، حتى استشهد الحاج ميرزا جاني⁽⁴⁾ بعد إعلان حضرة بهاء الله دعوته، ونتيجة لسعيه جاهداً لتحرّي الحقيقة، أصبح الذبيح من أتباع حضرة بهاء الله المخلصين ومنذ ذلك الحين أشغل نفسه في تبليغ أمر الله واستنساخ الألواح. سافر إلى أدرنة ولكن رحلته تزامنت مع وقوع المحن والاضطهاد في تلك البلاد، في الفترة التي وُضع فيها بيت حضرة بهاء الله وويوت أصحابه المؤمنين تحت حراسة الجنود ومُنع الكل عن الدخول. لذا توجه الذبيح ورفاقه إلى كليبولي. وقد نزلت "سورة الرئيس" في تلك الأيام...

عند عودته من تلك الرحلة كرس أوقاته لتبليغ أمر الله ونشر نفعاته بكل نشاط وثبات. بلغ نفوذه حدّاً في طهران إلى أن قبض عليه نائب السلطنة⁽⁵⁾ وسجنه. في أثناء الاستجابات التي جرت نتيجة ذلك لم يتردد الذبيح في المضي بتبليغ أمر الله علناً. التقطت السلطات صورة شمسية له لتقديمها إلى الشاه ويمكن الحصول على نسخة منها من بعض المؤمنين. ذهب مؤخراً إلى تبريز، ماراً بقزوین، حيث غادر هذه الحياة⁽⁶⁾ إلى عوالم الخلد...

(4) انظر "مطالع الأنوار".

(5) الأمير كامران ميرزا، ابن ناصر الدين شاه، والذي كان حاكم طهران لعدد من السنين.

(6) كان ذلك نحو عام 1297-1298 هـ (1880-1881م).

في أحد ألواح (١٣) الموجهة إلى الذبيح، يحثه حضرة بهاء الله على القيام بتبليغ أمره، إذ إن الله قد خلقه من أجل ذلك. وفي لوح آخر موجه لابن الذبيح، غلام علي، يذكر حضرته بأن الذبيح تمنى أن يفدي حياته في سبيل الله مؤكداً بأنه بلغ رتبة شهيد عند الله وقد فاز بشرف تسميته بـ "الذبيح" من القلم الأعلى.

بدأ نزول "سورة الرئيس" بعد مغادرة حضرة بهاء الله أدرنة بفترة قصيرة وذلك في قرية كاشانة وتمت في كياوركيوي في طريقه إلى كليولي.

تخاطب هذه السورة في قسمها الأول عالي باشا الذي يدعوه حضرة بهاء الله بالرئيس، وتعتبر من أكثر ألواحه تحدياً، حيث يؤنب فيها لسان القدرة والعزة رئيس الوزراء تائباً قاسياً. ففي فاتحتها يأمر عالي باشا بالاستماع لصوت الله المنادي بين الأرض والسماء داعياً الخلق إلى نفسه. ثم يصرح بأن ما من قوة في الأرض تقدر أن تمنعه من إعلان أمره، ويعلن بعبارات قوية لا لبس فيها بأن إعراضه هو ومن في حوله لن يمنع إرادة الله من تحقيق غايته. يوبخ عالي باشا لاتحاده مع سفير إيران باقتراف ما نوح به محمد رسول الله في الجنة العليا. يُعلن أيضاً عظمة ظهوره ومقامه، مؤكداً لو أنه يكشف للناس عن باطن هويته ويخرج من قميص آدميته التي حجبها عن بصائر الضعفاء والعمي من البشر، ليفديه كل من في العالم.

في هذا اللوح يماثل حضرة بهاء الله عالي باشا بالذين أنكروا رسل الله السابقين وقاموا على معارضتهم. كما يعيد للذاكرة غطرسة كسرى الفرس وتكبره في أيام محمد وبغي فرعون وطغيانه في أيام موسى، وتجبر نمرود وكفره أيام إبراهيم. مخاطباً عالي باشا مباشرة، يؤكد له حضرة بهاء الله أن سعيه لإطفاء نار أمر الله سيخيب بل بما فعل زاد لهيبها اشتعالاً، وزيادة على ذلك ينبئه بأنها ستحيط الأرض ومن عليها وبأن نسمات فجر ظهوره سوف تحيي أرواح أهل العالم.

في حين أن "سورة الرئيس" نزلت عشية رحيل حضرة بهاء الله وأصحابه إلى عكاء وسط ظروف من الشدائد والمذلة الظاهرية، نجد مع ذلك صدور هذه الإنذارات والوعيد من القلم الأعلى لمن كان في ذلك الوقت رئيساً لحكومة تركيا والمسؤول الرئيس عن ارتكاب المظالم القاسية في حق حضرة بهاء الله:

"سوف تبدل أرض السر وما دونها وتخرج من يد الملك ويظهر الزلزال ويرتفع العويل ويظهر الفساد في الأقطار وتختلف الأمور بما ورد على هؤلاء الأسراء من جنود الظالمين. ويتغير الحكم ويشتد الأمر بحيث ينوح الكئيب في الهضاب وتبكي الأشجار في الجبال ويجري الدم من الأشياء وترى الناس في اضطراب عظيم⁽⁷⁾."

(7) هذه النبوءات وغيرها مما نطق بها حضرة بهاء الله في عكاء، المنبئة عن سقوط كل من السلطان عبد العزيز، عالي باشا وفؤاد باشا، قد تحققت بنحو ملفت للانتباه. فاحتلت القوات الروسية أدرنة وصربيا ومنتغرو ورومانيا معلنة استقلالها. كما

في موضع من "سورة الرئيس" يحوّل حضرة بهاء الله عنايته من عالي باشا ليخاطب الذبيح (الأنيس) بعبارات اللطف والمحبة والتقدير. ثم يذكر كيف شعر بفرح عظيم لما رأى بيته محاطًا بالجنود ووقف الحراس عند الأبواب. في ذلك الظرف كان يتمنى الاستشهاد في سبيل الله وهو ما لا يضاھيه عمل آخر بنظره. يذكر تصرفات السلطات التعسفية بإرسالها وحدات من الجند لمحاصرة بيته ومنازل أحبائه، ويصرّح بأن المؤمنين وآله تركوا بلا قوت في الليلة الأولى للحصار، وفي الكلمات التالية يصف مشاهد الوداع ونواح المواطنين وحزنهم يوم مغادرته أدرنة:

"زحف الناس حول البيت، وبكى علينا الإسلام والنصارى... إنّنا وجدنا ملأ الابن⁽⁸⁾ أشد بكاءً من ملل أخرى، وفي ذلك لآيات للمتفكرين."

ثم يذكر حضرته محاولة الحاج جعفر التبريزي إنهاء حياته فداء في حب مولاه، ويشهد بأن "هذا ما لا سمعناه من قرون الأولين". و"اختصّه الله بهذا الظهور إظهاراً لقدرته". ويتذكر بعد ذلك حادثاً مشابهاً في بغداد يتعلق بالسيد إسماعيل الزواري الذي

تم احتلال كل من قبرص ومصر، وتركزت روميليا الشرقية لبلغاريا التي أصبحت دولة مستقلة. وباختصار فقد تمزقت أوصال الإمبراطورية العثمانية. هذا وسوف نعرض بتفصيل أوفى لهذه الأحداث في مجلد قادم.

(8) المسيحيون.

عجل بعروجه من هذا العالم شوقاً إلى عوالم البقاء إذ قطع حنجره⁽⁹⁾ بعد أن اشتعل بنار حب مولاه. ويعلن حضرة بهاء الله أن هؤلاء النفوس يطغى عليهم جذب حبه بحيث يدفعهم شوق لا يقاوم للتضحية بحياتهم، مبيناً في الوقت نفسه أنهم "ولو ظهر منهم ما لا أذن الله لهم ولكن عفا عنهم فضلاً من عنده" إلا أنهم "عرجوا إلى مقام المكاشفة والحضور بين يديّ الله العزيز العليم."

في "سورة الرئيس" يؤكد حضرة بهاء الله على أن البلايا والشدائد التي تنزل بالمؤمنين ستعمل بمثابة دهن لمصباح أمر الله وتزيد من نوره وبهائه. ويصرح بأن الأمر فائق العظمة وما من شيء يمكنه منع ارتفاعه واستقراره ولو اجتمعت ضده جنود السموات والأرض، وقام عليه الملوك والحكام. ويزيد في تنبؤاته متفضلاً:

"سوف يبعث الله من الملوك من يعين أوليائه إنه على كل شيء مُحيط. ويُلقى في القلوب حُبَّ أوليائه هذا حتم من لدن عزيز جميل."

وتعظيماً لهذا الظهور يعلن حضرة بهاء الله في "سورة الرئيس":

(9) انظر المجلد الأول، الصفحات 106-108.

"هذا يوم لو أدركه محمد رسول الله لقال قد عرفناك يا مقصود المرسلين. ولو أدركه الخليل ليضع وجهه على التراب خاضعاً لله ربك ويقول قد اطمأن قلبي يا إله من في ملكوت السموات والأرضين. وأشهدتني ملكوت أمرك وجبروت اقتدارك... لو أدركه الكليم ليقول لك الحمد بما أريتني جمالك وجعلتني من الزائرين."

إن إحدى الميزات الفريدة لمظهر أمر الله هو أن أفكاره وأفعاله لا ترتبط بالضرورة أو تتوجه نحو الموضوع الآني مهما كان الأخير حيويًا وملحًا في طبيعته. فهو لن يشغل بمسألة معينة وحدها دون غيرها.⁽¹⁰⁾ ذلك لأنه لا يقيم في عالم المحدودات. ففي حين وجوده على الأرض يكون متحركًا بإرادة من روح الله، مصداقًا لما ورد في الإسلام "لا يشغله شأن عن شأن."

إن هذه الميزة تتمثل بجلاء في شخص حضرة بهاء الله حيث أنزل "سورة الرئيس" وسط بلايا وشدائد هددت حياته وحياة أهله وأصحابه. وردًا على سؤال من قبل الذبيح، يبين حضرته طبيعة النفس، ويشرح الأحوال التي بموجبها تكتسب النفس مختلف الصفات. "للنفس جناحين إن طارت في هواء الحب والرضا تُنسب إلى الرحمن وإن طارت في هواء الهوى تُنسب إلى الشيطان"، وبعد مفارقتها الجسد تعرج

(10) لمزيد من التفاصيل انظر المجلد الأول، الصفحة 279.

إلى عوالم الله مزينة بصفات سماوية. لكنها إذا نأت عن الله تصبح شيطانية وخالية من المزايا الروحانية. يفصل حضرة بهاء الله هذا الموضوع بإسهاب، إلا أن دراسة تلك الشروح تخرج عن نطاق هذا المجلد.⁽¹¹⁾

بخصوص أهمية "سورة الرئيس" ومغزاها، يصرح حضرة بهاء الله في أحد ألواحه النازلة في عكاء:

"لقد وصلت غفلة الناس إلى مقام بحيث لم يعد خسف مدينة، ولا نسف جبل، ولا شق الأرض بقادر على إيقاظهم من سباتهم. قد ظهرت إشارات الكتب المقدسة وعلاماتها. وفي كل حين ترتفع صيحة الظهور. مع ذلك فإن الكل مدهوش من خمر الغفلة، إلا من شاء الله هدايته، وفي كل يوم تُشاهد الأرض في ابتلاء جديد، وأنا أنا تزداد محتتها عمقاً. فمنذ نزول سورة الرئيس وحتى اليوم، لم يفز العالم بالراحة، وما تزيّن العباد بالاطمئنان. فتارة يُبتلون بالمجادلة وتارة بالمحاربة وتارة بالأمراض المزمنة. لقد وصل مرض العالم إلى حدّ يوشك أن يأسوا منه نهائياً وذلك بما مُنع الطبيب الحقيقي من ممارسة الإشفاء، في حين قُبِلَ المتطبيون وشُغّلوا... قد أخذ غبار النفاق قلوب الناس وأعمى أبصارهم. سوف يرون ما عملوا في أيام الله. كذلك ينبئك الخبير من لدن مقتدر قدير."

(11) لقد شرح كل من حضرة بهاء الله وحضرة عبدالبهاء موضوع الروح وخلودها في عدة ألواح. سوف يبحث الموضوع في المجلد التالي.

إن هذه الإنذارات التي نطق بها حضرة بهاء الله منذ ما يزيد عن قرن وفي أعقاب ندائه المبين للملوك والحكام كما ورد في "سورة الملوك"، والتي تضمنت إنذارات مماثلة، قد أطلقت في العالم عملية مزلزلة جبارة. تقوّض النظم القديم وتقلع أسس المجتمع الإنساني (البالية) في كل مكان من العالم. تقف البشرية عاجزة مكروبة بين عواصف النقمة والحساب لا تدري أين تتجه ولا كيف توقف مسار هذه العملية المستطيرة. مع كل ذلك فنحن نعيش في عصر بلغ فيه الإنسان من المعرفة والإنجازات ما يفوق الخيال والتصديق لو يقارن بالماضي.

وبالنسبة لأتباع حضرة بهاء الله إن سبب هذه الاتجاهات والتيارات الفاجعة واضح وبسيط. إن مأساة الإنسان اليوم شبيهة بتلك التي تحصل لمزارع إذا ضيع جهده سدى في إلقاء الحبّ بأرض خصبة لكنها محرومة من أشعة الشمس، هكذا أيضًا إنسان اليوم الذي أدار ظهره لشمس الحقيقة عندما أشرقت. وعليه، فإنه ما لم يعترف بحضرة بهاء الله، فلن يجد السلام على هذه الأرض ولا السكينة في قلبه.

كتب حضرة شوقي أفندي منذ حوالي أربعة عقود، في أواسط الحرب العالمية الثانية، أوفى وأدق تحليل⁽¹²⁾ للمصائب التي حاقت بالعالم، واصفًا جذورها ومنبئًا

(12) "قد أتى اليوم الموعود" (The Promised Day Is Come).

بعواقبها. في إنتاج قلمه الفذ هذا، يصف من ناحية حتمية تصدّع وتداعي النظم القديم وما يتبع ذلك من معاناة ومآسي، ومن ناحية أخرى يصف لمحات بهية من رؤى المستقبل البعيد حيث يتفتح العصر الذهبي لدين حضرة بهاءالله عن ولادة عهد من النعيم والاتحاد للجنس البشري برّمته.

معدداً صنوف الاضطهاد والعذاب التي أبتلي بها كل من حضرة بهاءالله وحضرة الباب وحضرة عبدالبهاء، طيلة ثمانية عقود تقريباً، على يد الجنس البشري، يكتب حضرة شوقي أفندي ما يلي:

... واحسرتاه، وألف حسرة، أن يوجه لظهور إلهي بمثل هذه العظمة التي لا مثيل لها، والقيمة التي لا تُقدر، والقدرة الجبارة، والبراءة البيّنة، أن يوجّه له جيلٌ على هذه الدرجة من العمى والانحراف مثل هذه المعاملة المنكرة! يشهد حضرة بهاءالله نفسه: "يا عبادي تالله الحق إن هذا البحر الأعظم اللجي المواج قريب جداً بل لعله أقرب إليكم من جبل الوريد. إذا أوصلوا أنفسكم إليه وفوزوا بذلك الفيض الصمداني والفضل السبحاني والوجود الرحماني والكرم الأعز الأبهى." (13)

(13) هذه الفقرة من "لوح أحمد" بالفارسية.

فبعد انقضاء قرابة مائة سنة ماذا تلاحظ عين المرء وهو يتفحص آفاق العالم وينظر إلى الوراء منذ انبثاق فجر التاريخ البهائي؟ يشاهد عالمًا يتشنج تحت وطأة كروب أنظمة وأجناس وأمم متصارعة، مكبلة بشباك زيفها، ما فتئت تبعد عن هو مالك ناصيتها ومصيرها وتطمس شيئًا فشيئًا في أعماق مذابح انتحارية تولدت مباشرة إثر إهمالها واضطهادها لمن هو هاديها ومخلصها. ويرى دين، ما يزال محظورًا لكنه مع ذلك قد أفلح في شق طريق نموه وتفتحه إذ يظهر من خلال مجهولية مائة عام من القمع، وجهًا لوجه أمام الدلائل الرهيبة لغضب الله وانتقامه، ومقدر له أن يقوم على أنقاض حضارة منسوفة. وعالم مفتقر روحياً، ومفلس أخلاقياً، وممزق سياسياً، ومضطرب اجتماعياً، ومشلول اقتصادياً، يتلوى وينزف ويتفكك تحت ضربات قضيب الانتقام الإلهي. دين ظلت دعوته غير مستجابة، ورفضت ادعاءاته، وأهملت إنذاراته، وحُصد وطورد أتباعه، وافترى على تعاليمه وأهدافه، وقوبلت نداءاته الموجهة لحكام الأرض بالتجاهل، وأسقي مبشره كأس الاستشهاد، وُصِب فوق رأس مؤسسه بحور من مصائب وبلايا لم يُسمع عن شبهها، وناء مثله الأعلى تحت وطأة أحزان وشدائد دامت طيلة عمره. وعالم فقد وجهته، وتتلاشى فيه سريعاً شعلة الدين الوضّاءة وقد اغتصبت القوى الغاشمة للوطنية والعنصرية حقوق وامتيازات الله نفسه، عالم فيه رفعت مادية أئيمة -وليدة مباشرة للاتحاد- رأسها بانتصار وتطل بملامحها القبيحة... وفيه تنخر جرائم التعصب والفساد في هيكل وحيوية مجتمع مختل بنحو خطير أصلاً...

نحن نعيش حقاً في عصر، لو أردنا تقييمه تقييماً صحيحاً، ينبغي اعتباره عصرًا يشهد ظاهرة مزدوجة. الأولى تعلن عن حشجة موت نظام عقيم لا إيمان له بالله، قد أصر بعناد، رغم آيات وعلامات ظهور إلهي لمدة قرن من الزمن، على عدم تكييف طرائقه وفقاً للمبادئ والمثل التي جاءت إليه بها تلك الرسالة السماوية. الأخرى تنبئ عن صراخ ولادة نظم سماوي ومخلص سيحل حتماً محل السابق، وتنمو في رحاب هيكله الإداري وتنضج بنحو لا يكاد يشعر به، ثمار حضارة عالمية لا نظير لها ما تزال في طورها الجنيني. الأول يطوى حالياً منهاراً وسط الظلم وسفك الدماء والحطام، والآخر يفتح أفاقاً من عدل واتحاد وسلم وحضارة لم يشهد عصر لها مثيلاً. الأول قد استنفد قواه، أثبت بطلانه وعقمه وضيع بلا رجعة فرصته ويسرع صوب حتمه. الآخر، ممتلئاً حيوية ولا يُقهر، يمزق أصفاده، ويبرر مكانته على أنه الملاذ الوحيد الذي يمكن للإنسانية عصرتها الشدائد وتطهرت من خبثها، أن تجد في وسطه مصيرها.

ويتفضل حضرة بهاء الله متنبئاً: "سوف يُطوى النظام الحاضر ويقوم نظام جديد إن ربك يقول الحق وهو علام الغيوب." ويتفضل أيضاً قائلاً: "العمري سوف يأتي يوم تطوى الدنيا وما فيها ونأتي بنظم جديد إنه على كل شيء قدير."

كما تفضل حضرته قائلاً: " تُرى الأرض اليوم حاملة وعمّا قريب تُشاهد أثمارها المنيعة وأشجارها الباسقة وأورادها المحبوبة ونعمها الجنية... " وكتب كذلك حضرة عبدالبهاء: "سوف تتحد كافة الأمم والقبائل وتصبح أمة واحدة. وتندثر المنازعات الدينية والعرقية وتتوقف المشاحنات بين الأجناس والشعوب. ويتمسك كل الناس بدين واحد واعتقاد واحد ويتحدون في جنس واحد ويصبحون شعباً واحداً. فيسكن الكل في وطن واحد هو هذا الكوكب نفسه."

"كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ٢"